لم تكتف غريزة الجريمة لدى الحكم الاسرائيلي بقتل ٤٩ عربيا في كفرقاسم ، وتبرئة المنفذين ، وبعدم محاكمة المسؤولين لان ذلك يعني محاكمة الكيان الاسرائيلي من اساسه . لم تكتف بذلك ، وانما امتلكت من السادية والنفاق قدرا جعلها تبتز من الضحايا اعترافا بالشرعية وتأييدا للسلاح الفاتك . فبالوسائل الاسرائيلية ابتزت السلطة الاسرائيلية، بعد المجزرة مباشرة ، تأييدا للحزب الحاكم في الانتخابات البرلمانية. فقد حصل الحزب الحاكم القاتل على الاغلبية الساحقة من أصوات الناخبين في القرية المنكوبة . فصارت الجريمة مزدوجة : قتلوهم .. وأرغموهم على اعلان الولاء . لقد استجوبوا الجثث ، واستنطقوها لتقول للغزاة القتلة : نعم !

أراد القتلة أن يصوروا ما حدث في كفرقاسم بأنه حادث ، فهل هو حادث .. أم هو طبيعة ملازمة للممارسة الصهيونية على أرض فلسطين ، وسياسة مستمرة تجاه المواطنين العرب الواقعين تحت الاسر الاسرائيلي ؟. لقد قالوا عن دير ياسين أيضا انها حادث ، فهل يكون الحادث حادثا اذا تكرر عشرات المرات . ان القتل ، بدم بارد ، والعنف المسلح هما فلسفة اسرائيلية في تثبيت وجودها . وقد ملأ الفكر الصهيوني صفحات كثيرة لاعطاء العنف شرعية مستمدة من الحاجة الى قيام اسرائيل والمحافظة عليها . وقد نلاحظ ان بعض الصهيونيين الليبراليين انما يعارضون بعض مظاهر العنف عندما يضيع الفارق بين العنف الذي يرمي الى تحقيق هدف سياسي وبين العنف الذي يرتكب جريمة ليس وراءها هدف غير الانتقام الحيواني . وهذا ما يفسر غضبة آحاد هعام الشهيرة ، لان الموقف المتكامل من معارضة العنف الصهيوني انما يستدرج صاحبه الى رفض القاعدة القانونية التي نشأ عليها كيان اسرائيل ، وهي العنف المسلح . ولكن ما جرى في كفرقاسم يتجاوز مفاهيم العنف المسلح الذي يجد له تبريرا سياسيا لدى البعض . فلم تكن الجريمة هناك مثل جريمة دير ياسين مثلا التي هدف الغزاة منها الى دب الفزع بين العرب لدفعهم الى الرحيل وحققت أهدافا سياسية لمصلحة التوسع والانتصار الاسرائيليين . ولم تكن الجريمة « وقائية » للمحافظة على اي مطلب من متطلبات الامن الاسرائيلي ، اذ لم يهدد عمال كفرقاسم وفلاحوها وأطفالها ونساؤها أمن دولة اسرائيل ، ولم يعرقلوا اندفاع جيشها نحو سيناء ! الجريمة هنا خططت ونفذت بدون « ضرورة » و« حاجة » اذا جاز التعبير . انها جريمة من اجل الجريمة . انها أعلى أشكال الجريمة التي تحركها غرائز القتل والانتقام . وقد عبر عن هذا النوع من العنف المسلح الارهابي الشهير مناحيم بيغن ، حين كتب ان أساليب العنف التي لجأ اليها الصهيونيون قبل ١٩٤٨ هي الطريق الوحيد الفعال لتأمين الاهداف القومية في فلسطين ، وانها « أشبعت رغبة جارفة مكبوتة عند اليهود للانتقام » . كان ذلك قبل ٤٨ ، فلماذا في كفرقاسم ٥٦ ؟. لعل فلسفة الوجود كما يفهمها الصهيوني الارهابي « أنا أحارب اذن أنا موجود » تحتاج دائما الى ممارسة مستمرة والى برهان جديد . ولعل الصهيوني الاسرائيلي الذي يحمل رغبة مكبوتة للانتقام — كما يقول بيغن — محتاج الى تجديد وجوده بطريقة وحيدة هي الحرب ، والى ملء هذا الوجود بأسباب مستمرة لجدارة التفرد ، وهي القتل والقتل والقتل . « كن أخي والا سأقتلك » . هكذا يضيف فيلسوف الجريمة . وليس بوسع العربي الواقع في الاسر الاسرائيلي أن يؤاخي قاتله . وهكذا تبقى حلقة القتل مفرغة بلا نهاية .

ليس في الفكر الصهيوني نهاية للمبررات التي لا تحصى للعنف المسلح الذي لا يفتقر الى وحي من الديانة أيضا . ولهذا ، صار يهوشع بن نون بطلا اسرائيليا معاصرا بسبب وحشية أسلوبه في التعامل مع الشعوب غير اليهودية هذه الوحشية التي تشكل تشابها تاريخيا مع التطبيق الصهيوني اليوم يحتاجه اصحاب القرار السياسي في اسرائيل